# "صفات المعاني والصفات المعنوية في تفسير التيسير للإمام أبي حفص النسفي سورتا الأنفال والتوبة أنموذجاً"

# Attributes of Meanings and Abstract Attributes in Al-Taysir" Interpretation by Imam Abu Hafs Al-Nasafi: Surah Al-Anfal and Surah Al-Tawbah as a Model"

**الباحثة: هديل حمادي نجم***

**Hadil Hammadi Najm**

isp٥٢@student.uomosul.edu.iq

**https://orcid.org /٠٠٠٩-٠٠٠٧-٨٤٩٢-٧٧٩٢**

**أ.د. معالم سالم يونس***

**Ma'alim Salem Younis**

dr.maalem.salem@uomosul.edu.iq

https://orcid.org /٠٠٠٩-٠٠٠٤-٤٩١٤-٩٨٧٤

## ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة صفات المعاني والصفات المعنوية عند أهل السنة والجماعة، مع تطبيقٍ تفسيري على سورتي الأنفال والتوبة من خلال تفسير الإمام أبي حفص النسفي، بوصفه أحد أعلام

* جامعة الحمدانية/كلية العلوم الصرفة/ قسم التسجيل

University of Hamdaniya \ College of Pure Sciences \ Department of Registration

* جامعة الموصل/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم العقيدة والفكر الإسلامي

University of Mosul \ College of Islamic Sciences \ Department of Islamic Creed and Thought

المدرسة الماتريديّة في تقرير مسائل العقيدة, ويهدف البحث إلى بيان حقيقة هذه الصفات، ومراتبها، وأدلتها العقلية والنقلية، مع إبراز منهج النسفي في إثباتها على أساس الجمع بين النص الشرعي والدليل العقلي، مع الالتزام التام بمبدأ التنزيه ونفي مشابهة صفات الخالق لصفات المخلوقين، في انسجامٍ تام مع أصول أهل السنة والجماعة، مما يُبرز أهمية التفسير العقدي في فهم النص القرآني وترسيخ العقيدة الصحيحة.

**الكلمات المفتاحية: صفات المعاني, التيسير, نجم الدين, النسفي.**

## Research Summary

This study examines the attributes of meaning (ṣifāt al-maʿānī) and the qualitative attributes (ṣifāt maʿnawiyyah) according to Ahl al-Sunnah wa al-Jamāʿah, with an exegetical application to Sūrat al-Anfāl and Sūrat al-Tawbah based on the tafsīr of Imām Abū Ḥafṣ al-Nasafī, as one of the prominent figures of the Māturīdī school in articulating doctrinal issues. The study aims to clarify the true nature of these attributes, their classifications, and their rational and textual evidences, while highlighting al-Nasafī's methodological approach in affirming them through the integration of revealed texts and rational proof, with full adherence to the principle of divine transcendence and the negation of any resemblance between the attributes of the Creator and those of created beings. This is fully consistent with the principles of Ahl al-Sunnah wa al-Jamāʿah, and underscores the significance of doctrinal exegesis in understanding the Qur'anic text and firmly establishing sound Islamic belief

**Keywords: Attributes of Meanings, Al-Taysir, Najm al-Din, al-Nasafi.**.

## المقدمة

الحمد لله فاطر السماوات والارض بإحكام، القديم بلا بداية والباقي بلا نهاية، المُتنزِّه عن الشّبيه والشّريك، لم يلِد ولم يُولَد، وقدّر كلّ شيءٍ فاحسن تقديره بانتظام، فتبارك ربُّنا ذو الجلال والإكرام, والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُ الله ورسوله، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلِّم تسليماً كثيراً على الدوام.

# "صفات المعاني والصفات المعنوية في تفسير التيسير للإمام أبي حفص النسفي سورتا الأنفال والتوبة أنموذجاً"

**الباحثة: هديل حمادي نجم**

**أ.د. معالم سالم يونس**

**أما بعد:**

فإنّ علم التوحيد أشرف العلوم؛ لكونه متعلقاً بذات الله وصفاته تعالى، وقد أولى علماء الأمة الإسلامية اهتماماً بالغاً ببيان ما يجب لله تعالى من صفات الجلال والجمال, ومن بين هذه المباحث العقدية الدقيقة برزت "صفات المعاني" و "الصفات المعنوية" كركيزة أساسية في فهم الذات الإلهية عند أهل السنة والجماعة، و لا سيما في المدرسة الماتريديّة.

ويُعَدُّ "تفسير التيسير" للإمام أبي حفص النسفي, كنزاً من كنوز الموروث التفسيري الذي لم يكتفِ ببيان معاني الآيات فحسب، بل مزج بين التفسير الأثري والنظر العقلي السليم، متخذاً من الآيات القرآنية منطلقاً لتقرير القواعد العقدية والرد على شبهات المخالفين بأسلوب يتسم بالدقة والاعتدال, تكمن أهمية هذا البحث الموسوم بـ" صفات المعاني والصفات المعنوية في تفسير التيسير للإمام ابي حفص النسفي سورتا الأنفال والتوبة أنموذجاً" في الحاجة إلى تسليط الضوء على المنهج العقدي للإمام النسفي في معالجة الصفات الإلهية، واختيار سورتي (الأنفال والتوبة) لما تحفلان به من دلالات عقدية عميقة تتصل بالعلم, والقدرة، والإرادة، وغيرها من الصفات التي تجلت في سياق النصر والتمكين والتوجيه الإلهي, كما تبلورت مشكلة البحث في أثبات الإمام النسفي صفات المعاني والمعنوية من خلال نصوص السورتين, و ما هي الأدلة النقلية والعقلية التي استند إليها لترسيخ العقيدة الماتريديّة, وكيف وازن النسفي بين إثبات الصفات وتنزيه الخالق عن مشابهة المخلوقين.

اعتمد البحث المنهج الوصفي في تعريف صفات المعاني والصفات المعنوية، وبيان مفاهيمها اللغوية والاصطلاحية، وتعلّقاتها، وأقسامها، مع توثيق ذلك من المصادر الكلامية والتفسيرية المعتمدة، دون الخروج عن الإطار التطبيقي المرتبط بالسورتين محل الدراسة, كما اعتمد المنهج الاستقرائي التحليلي، القائم على تتبّع الآيات القرآنية الواردة في سورتي الأنفال والتوبة، مما يتعلّق بصفات المعاني والصفات المعنوية، ثم تحليلها تحليلاً عقديًا في ضوء تفسير الإمام أبي حفص النسفي. وقد تم استقراء مواضع الصفات الإلهية الواردة في السورتين استقراءً تامًا، مع جمع نصوصها القرآنية، ثم دراستها دراسةً وصفية تحليلية تُبرز دلالاتها العقدية ومعانيها الكلامية, كذلك عرض أقوال الإمام النسفي في تفسير الآيات، وبيان طريقته في تقرير الصفات الإلهية، من خلال الجمع بين الأدلة النقلية من القرآن الكريم، والاستدلالات العقلية التي يُقيمها لتثبيت الصفات على وفق مذهب أهل السنة والجماعة، ولا سيما

المدرسة الماتريديّة, وتم توظيف المنهج المقارن عند الحاجة، وذلك بذكر أقوال المخالفين من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، وبيان موقف النسفي منهم، مع التركيز على إبراز منهج الإثبات والتنزيه دون توسّع في الجدل الكلامي الخارج عن نطاق البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة و مبحثين لكل واحد منهما مطالب وفق الآتي:

- ❖ المبحث الأول: صفات المعاني, صفة العلم, والقدرة.
  - المطلب الأول: تعدادها، والتعريف بها.
  - المطلب الثاني: صفتا العلم والقدرة.
- ❖ المبحث الثاني: صفة الحياة, السمع, والبصر.
  - المطلب الأول: صفة الحياة.
  - المطلب الثاني: صفتا السمع والبصر.
- ❖ المبحث الثالث: صفة الإرادة, الكلام, التكوين.
  - المطلب الأول: صفة الإرادة.
  - المطلب الثاني: صفة الكلام, وانواعه.
  - المطلب الثالث: صفة التكوين.

ثم خاتمة لأبرز النتائج التي تمحورت في هذا البحث, ثم أعقبتها بذكر المصادر والمراجع التي نهلت منها درر العلوم لإكمال البحث, هذا والله من وراء القصد, و﴿ﷺ﴾ على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المبحث الأول: صفات المعاني, صفة العلم, والقدرة.

### المطلب الأول: تعدادها، والتعريف بها.

صفات المعاني هي سبع صفات: القدرة, الإرادة, السمع والبصر, العلم, الكلام, والحياة.

وسميت بصفات المعاني؛ لأن لكل واحدة منها معنى قائماً بذاته تعالى, وهي صفة أزلية قائمة بذاته سبحانه, وهي ليست غير الذات ولا عين الذات, بل زائدة على مفهوم الذات, تستلزم حكماً له, كصفة العلم مثلاً, فهي تستلزم أن يكون المتصف بها عليماً, كذلك القدرة تستلزم أن يكون قديراً, وهكذا في

الصفات المعنوية كلها, فهي صفات وجودية, سواء كانت قديمة أو حادثة, كعلمه وقدرته تعالى, وكعلمنا وقدرتنا فالصفات ان كانت وجودية سميت صفات معانٍ, وإن لم تكن وجودية سميت سلبية(١).

**الصفات المعنوية:**

وهي صفات تَثبت لله تعالى, وهي نتيجة اتصافه بصفات المعاني, فعند ثبوت نسبة العلم إليه سبحانه يلزم من ذلك أنه عليم, وعند ثبوت نسبة القدرة إليه سبحانه يلزم أنه قدير, ولما ثبتت نسبة السمع إليه سبحانه لزم أنه سميع, وهي صفات أزلية في حقه سبحانه, فهو: عالم, قادر, مريد, سميع, بصير, حي, متكلم, سميت معنوية؛ لأنها ملازمة لصفات المعاني (٢).

والأدلة عليها كثيرة مبثوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية, فالآيات والأحاديث صرَّحت بذكر الصفات المعنوية: الحي, القدير, العليم, السميع, البصير وهي التي نستدل بها على صفات المعاني, ومن أمثلتها صفة الكلام, وهي من صفات المعاني, إذ نستدل بها على أنه سبحانه متكلم, وهي من الصفات المعنوية(٣).

**المطلب الثاني: صفتا العلم والقدرة.**

**سنبدأ بصفة العلم من صفات المعاني, لكونها أول صفة يبتدأُ الإمام أبو حفص النسفي بها من الصفات في كتبه(٤).**

**١. صفة العلم:**

**أ. العلم لغة:**

"والعِلْم: نقيض الجهل... وتعلّمت الشيء، إذا أخذت علمَه".(١)

---

(١) ينظر: شرح الخريدة البهية في علم التوحيد, أحمد بن محمد الدردير, ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنّار, دار البيروني, د. ط , د. ت: ٧٢ .

(٢) ينظر: المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح علي سلمان القضاة, دار الرازي, عمان _الاردن, ط١, ١٤٢٠هـ_١٩٩٩٠م: ٥٠؛ المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية, عبد الله الهرري الحبشي(ت: ١٤٢٩هـ), شركة دار المشاريع, بيروت _لبنان, ط. ٣, ١٤٣٥هـ_٢٠١٤م:١٠٦.

(٣) ينظر: المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح القضاة: ٧٧.

(٤) ينظر: شرح العقائد النسفية, أبو حفص نجم الدين عمر النسفي, د. ن, د. ط , د. ت: ٢.

"ع ل م: الْعِلْمُ الْيَقِينُ، يُقَالُ: عَلِمَ يَعْلَمُ إِذَا تَيَقَّنَ، وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا، كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ, وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾,(٢) أَيْ عَلِمُوا وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(٣) أَيْ: لَا تَعْرِفُونَهُمْ اللَّهُ يَعْرِفُهُمْ".(٤)

ب. **العلم اصطلاحاً:**

صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلّق انكشاف على وجه الإحاطة على ماهي به من غير سبق خفاء (٥).

والمراد بالانكشاف هنا الظهور والاتضاح وعدم الخفاء, وليس انكشاف الشيء بعد الخفاء؛ لأنه يسبقه جهل, وهو محال في حق الله تعالى, فالله يعلم الأشياء أزلاً على ماهي عليه، وكونها وجدت في الماضي, أو الحاضر, أو المستقبل، فعلمه بالواجب موجود, والجائز يعلم الموجود والمعدوم, أما المستحيل فعلمه معدوم, **قال تعالى:**﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.(٦) وضدها الجهل. (٧)

**الدليل العقلي:**

١. أن الله فاعل فعلاً متقناً محكماً, وهذا ظاهر لمن نظر في الآفاق والأنفس والأحياء, ومن كان فعله ذلك من الإتقان والحكمة لزم أن يكون عالما (٨).

---

(١) معجم مقاييس اللغة, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني(ت:٣٩٥هـ), ت: عبد السلام هارون, دار الجيل ودار الفكر_ بيروت, د. ط, :١٣٩٢م_١٩٧٢م: ٤/١١٠.

(٢) سورة المائدة: من الآية: ٨٣.

(٣) سورة الأنفال: من الآية: ٦٠.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي(ت:٧٧٠هـ), المكتبة العلمية_ بيروت: د. ط, د. ت.: ٢/٤٢٧.

(٥) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري, محمد أديب الكيلاني وآخرون, ت: عبد الكريم الرفاعي: د. ط, د. ت: ١١١.

(٦) سورة البقرة: من الآية: ٢٨٢.

(٧) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٣؛ شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١١١.

(٨) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري:١١١؛ المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح القضاة: ٣٤.

٢. لو لم يكن عالماً, لكان جاهلاً, ولو كان جاهلاً, لما وُجِد هذا العالم على هذا النظام الدقيق من الإحكام والإتقان؛ لأنه يمتنع صدوره عن غير علم, مما يدل على الذي خلقه بهذا الترتيب علماً كاملاً, فثبت أن يكون عالماً [١].

٣. لو كان جاهلاً, لكان ناقصاً, والنقص على الإله محال، ولا حتاج إلى من يكمله, ومكمله يحتاج إلى أخر... وهكذا, فيلزم الدور والتسلسل, وكلاهما باطل, فثبت علمه سبحانه وتعالى[٢].

**الدليل النقلي:**

١. **قال تعالى:**﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣].

٢. **قال تعالى:**﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [٤].

٣. **قال تعالى:**﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٥].

- **مواضع صفة العلم في سورتي الأنفال والتوبة:**

**أولاً: أولاً: وردت صفة العلم في سورة الأنفال عشر مرات, في عشرة مواضع, وهي:**

١. **قال تعالى:**﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٦].

٢. **قال تعالى:**﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [٧].

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية, علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت: ٧٩٢ هـ), ت: عبد الله بن المحسن التركي وآخرون, مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان, ط ٢, ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م:١/١٢٦.

(٢)ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري : ١١١.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ٢٩.

(٤) سورة المائدة: من الآية : ١٠٩.

(٥) سورة الأنعام: الآيتان: ٥٩_ ٦٠.

(٦) سورة الأنفال: من الآية: ١٧.

(٧) سورة الأنفال: من الآية: ٢٣.

٣. **قال تعالى:** ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

٤. **قال تعالى:** ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٢).

٥. **قال تعالى:**﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

٦. **قال تعالى:**﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٤).

٧. **قال تعالى:**﴿ الْآَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ (٥).

٨. **قال تعالى:**﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ (٦).

٩. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٧).

١٠. **قال تعالى:**﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٨).

**ثانياً: وردت صفة العلم في سورة التوبة ست عشرة مرة, في ستة عشر موضعاً, وهي:**

١. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩).

٢. **قال تعالى:**﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ (١٠).

٣. **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١١).

٤. **قال تعالى:**﴿ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٢).

٥. **قال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣).

---

(١) سورة الأنفال: من الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنفال: من الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأنفال: من الآية: ٥٣.

(٤) سورة الأنفال: من الآية: ٦١.

(٥) سورة الأنفال: من الآية: ٦٦.

(٦) سورة الأنفال: من الآية:٧٠ .

(٧) سورة الأنفال: من الآية: ٧١.

(٨) سورة الأنفال: من الآية: ٧٥.

(٩) سورة التوبة: من الآية:١٥.

(١٠) سورة التوبة: من الآية:١٦.

(١١) سورة التوبة: من الآية: ٢٨.

(١٢) سورة التوبة: من الآية:٤٢.

(١٣) سورة التوبة: من الآية:٤٤.

٦. **قال تعالى:** ﴿ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(١).

٧. **قال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

٨. **قال تعالى:** ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(٣).

٩. **قال تعالى:**﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

١٠. **قال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥).

١١. **قال تعالى:** ﴿ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٦).

١٢. **قال تعالى:**﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧).

١٣. **قال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٨).

١٤. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٩).

١٥. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠).

١٦. **قال تعالى:**﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١١).

- **تعليق الإمام النسفي على صفة العلم في تفسيره.**

يستدل الإمام النسفي على صفة العلم في شرح الآيات الكريمات, والتي تدل على كمال علم الله تعالى, وأن علمه أزلي يتعلق بالموجودات على ماهي عليه, وأنه علم مطلق لا يَحُدُّه زمان أو مكان فالآيات

(١) سورة التوبة: من الآية:٤٧.

(٢) سورة التوبة: من الآية:٦٠.

(٣) سورة التوبة: من الآية:٧٨.

(٤) سورة التوبة: من الآية:٩٤.

(٥) سورة التوبة: من الآية:٩٧.

(٦) سورة التوبة: من الآية:٩٨.

(٧) سورة التوبة: من الآية: ١٠٥.

(٨) سورة التوبة: من الآية:١٠٣.

(٩) سورة التوبة: من الآية:١٠٦.

(١٠) سورة التوبة: من الآية:١١٠.

(١١) سورة التوبة: من الآية:١١٥.

تتناول غنائم الحرب واقترانها بالحكم الإلهي, فهو إعلام منه سبحانه وتعالى أن دعاءه إلى كل شيء فيه حياة الدين وهو العلم, فإن العلم حياة, والجهل موت, وإن الله تعالى ليحيي القلب الميت بالعلم, كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر, وكذلك تتحدث عن ما في صدور الناس ونياتهم التي يعلمها الله سبحانه, فهو يعلم في الأزل ضعفهم عن مقاومة الواحد بالعشرة فخفف عنهم, فإن قراءة وشرح الآيات تتعلق بعلم الله بالإحداث, النيات, القلوب, المستقبل, الخوف, الكيد, العقاب, المنافقين, مصالح العباد... فيعلم ما تسرون وما تعلنون, فلا يخفى عليه شيء, وهو بكل شيء عليم(١).

فيثبت علمه سبحانه وتعالى, لا كما تزعم المعتزلة من أنه تعالى عالم بلا علم, قادر بلا قدرة, إلى غير ذلك, ولا كما تزعم الفلاسفة, أنه تعالى يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات, فإن العلم صفة أزلية قائمة بذاته وهي صفة كمال واجبة لله تعالى, تخالف علم المخلوقين من جميع الوجوه, من النقص والجهل والوهم والنسيان, المنزَّه عن الحدوث والتغير, فالعلم الإلهي, أزلي, قديم, مطلق, شامل(٢).

- **تعلّق العلم:**

يتعلّق العلم بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات, فعلمه تعالى صفة وجودية قديمة, قائمة بذاته تعالى, ينكشف به الشيء, أي يتضح به كل معلوم, كالواجب والجائز والمستحيل, والله تعالى يعلم جميع أقسام الحكم العقلي بعلم أزلي قديم, يعلم ما كان وما يكون, وما لم يكن لو كان كيف يكون, فليس العلم من الصفات المؤثرة, بل هو صفة كشف المعلومات عند تعلقه بها (٣).

**٢. صفة القدرة:**

أ. **القدرة لغة:** معنى: قدر: " القَدِيرُ والقادِرُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونَانِ مِنَ القُدْرَة وَيَكُونَانِ مِنَ التَّقْدِيرِ... فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّرُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَاضِيهِ... فِي أَسماء

(١)ينظر: التيسير في التفسير, أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي(ت:٥٣٧هـ), ت: ماهر أديب حبوش وآخرون, وآخرون, دارالباب_ اسطنبول_ تركيا, ط ١, ١٤٤٠هـ_٢٠١٩م:٧|١٧٢,٢١٤,٢٤٢,٢٢٧,٢٣٠,٢٣٦,٢٥٠,٢٥٢,٣١١,٣٦٤,٤٧٨.

(٢) ينظر: شرح العقائد النسفية, سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني, ت: أحمد حجازي السقا, مكتبة الكليات العصرية, الأزهر_ القاهرة, ط ١, ١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م: ٣٦_ ٣٧.

(٣) ينظر: شرح أم البراهين, أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني, ت: خالد زهري, دار الكتب العلمية _بيروت, ط٢, د. ت: ٦١؛ شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ٦١؛ المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح القضاة: ٨٢.

اللَّهِ تَعَالَى القادِرُ والمُقْتَدِرُ والقَدِيرُ، فَالْقَادِرُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَدَرَ يَقْدِرُ يَقْدُرُ, والقَدِير فَعِيلٌ مِنْهُ، وَهُوَ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْمُقْتَدِرُ مُفْتَعِلٌ مِنِ اقْتَدَرَ، وَهُوَ أَبلغ... القَدْرُ والقَدَرُ الْقَضَاءُ والحُكْم، وَهُوَ مَا يُقَدِّره اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ الْقَضَاءِ وَيَحْكُمُ بِهِ مِنَ الأُمور, قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ أَي الحُكْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ".(١)

ب. **القدرة اصطلاحاً:** صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه, وضدها العجز (٢).

ولقد أثبت العلماء هذه الصفة عن طريق استخدام أدلة عقلية ونقلية، وبيانها على النحو الآتي:

**الدليل العقلي:**

١. أنه تعالى لو لم يتصف بالقدرة, لكان عاجزاً, ولو كان عاجزاً, لما وجد العالم بأتمّ نظام وأحكم إتقان (٣).

٢. لو كان تعالى عاجزاً, لكان ناقصاً, ولو كان ناقصاً, لاحتاج إلى من يكمله, ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر وهذا يلزم الدور والتسلسل, وكلاهما باطل (٤).

٣. الله تعالى صانع قديم أزلي, والعالم مصنوع حادث, أذ يستحيل قدمه ويثبت حدوثه, فلا بد له من محدث يحدثه ويوجده, وهذا لا يتصور إلا بطريق القدرة, فالله تجب له القدرة (٥).

٤. أن حدوث العالم بقدرة الله تعالى لا يغني عن التكوين؛ لأن القدرة لا توجب حصول المقدور بالفعل؛ لأنها عند الماتريديّة صفة الإيجاد والإعدام, وليس صفة تأثير التي هي صفة تكوين(١).

---

(١) لسان العرب, أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ), دار صادر – بيروت, ط ١٤١٤,٣ هـ.: ٥| ٧٤.

(٢) شرح الخريدة البهية في علم التوحيد, أحمد بن محمد الدردير:٧٤؛ كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق, محمد سعيد رمضان البوطي, دار الفكر, دمشق_ سورية, ط١: ١٩٦٩م:١١٩؛ العقيدة الاسلامية ومذاهبها, قحطان عبدالرحمن الدوري, لبنان _ناشرون, ط٢: ١٤٣٣هـ_٢٠١٢م:٣٧١.

(٣) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٤_ ٧٥ .

(٤) ينظر: شرح المقاصد, مسعود بن عمر بن عبد الله, سعد الدين التفتازاني (ت:٧١٢هـ), ت:عبد الرحمن عميرة, عالم الكتب: د. ط, د. ت : ٤| ٩٣_ ٩٤ .

(٥) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري:٦٦.

**الدليل النقلي:**

**قال تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.(٢)

**قال تعالى:** ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾. (٣)

**أولاً: لقد وردت صفة القدرة في سورة الأنفال مرة واحدة, في موضع واحد, هو في قوله تعالى:**﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

**ثانياً: وردت صفة القدرة في سورة التوبة مرة واحدة, في موضع واحد, هو في قوله تعالى:**﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥).

- **تعليق الإمام النسفي على صفة القدرة في تفسيره:**

يبين الإمام النسفي في تفسيره أن صفة القدرة لله تعالى, تُعَدُّ من أعظم صفات الله تعالى وأشملها دلالة على كماله, إذ هي صفة الإلهية المطلقة القائمة بذاته سبحانه, وقد اقتصر النسفي على ذكر هذه الصفة ببيان معاني ألفاظها العظيمة, التي تتعلق بجميع الممكنات, ويؤكد النسفي أن الله تعالى هو القادر على نصرة رسوله الكريم (ﷺ) والمؤمنين, من غير حاجة إلى عون أو وسيلة, كما أنه سبحانه قادر على إهلاك الكافرين بغير قتال من دون كلفة أو مشقة, إذ هو القادر على كل شيء, وله القدرة المطلقة التامة التي لا عجز ولا نقص فيها بحالٍ(٦).

**و لا بد من الإشارة إلى الألفاظ المتعلقة بصفة القدرة, كلفظة العجز, إذ ذكرت في سورة الأنفال في موضع واحد, هو:**

---

(١) ينظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين, أبو المعين ميمون النسفي الماتريدي (ت: ٥٠٨هـ), ت: محمد الانوار حامد عيسى, المكتبة الأزهرية للتراث _الجزيرة للنشر والتوزيع, ط ١, ٢٠١١م: ٧٣.

(٢) سورة البقرة: من الآية: ١٠٩.

(٣) سورة فاطر: من الآية: ٤٤.

(٤) سورة الأنفال: من الآية:٤١.

(٥) سورة التوبة: من الآية:٣٩ .

(٦) ينظر: التيسير في التفسير, عمر النسفي:٣٤٣/٧.

**قال تعالى:**﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[١].

**و لابد من الإشارة الى الألفاظ المتعلقة بصفة القدرة كلفظة العجز, إذ ذكرت في سورة الأنفال في موضع واحد, هو: قال تعالى:** ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾. [٢]

ذكر النسفي في تفسير التيسير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُعْجِزُونَ﴾, أي: لا يفوتونه تعالى ولا يعجز عن أدراكهم, حتى لا يبعثهم الله يوم القيامة, أو لا يعجزونك يا رسول الله محمّد ﴿ﷺ﴾ حتى يظفرك الله بهم [٣].

- **تعلّق القدرة:**

لا تتعلّق صفة القدرة إلا بالممكن, دون الواجب أو المستحيل, فهي تؤثر في الممكنات فقط؛ لأنها تقبل الوجود أو العدم, فالواجب لا يقبل التأثير؛ لأنه موجود لا يقبل العدم بحالٍ, والمستحيل, لا يقبل التأثير أيضاً؛ لأنه معدوم, لا يقبل الوجود بحالٍ[٤].

## المبحث الثاني: صفة الحياة, والسمع, والبصر.

### المطلب الأول: صفة الحياة.

**١. صفة الحياة.**

أ. **الحياة لغة:** " حيا: الحَيَاةُ: نَقِيضُ الْمَوْتِ، كُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِالْوَاوِ لِيُعْلَمَ أَن الْوَاوَ بَعْدَ الْيَاءِ فِي حَدِّ الْجَمْعِ.... حَيِيَ حَياةً, وحَيَّ يَحْيَا ويَحَيُّ فَهُوَ حَيٌّ" [٥] . " الحَياة: ضد الموت والحَيُّ: ضدُّ الميّت، والمَحْيا مَفْعَلٌ من الحياة. تقول: مَحْيَاي وَمَمَاتِي, وَالْجَمْعُ الْمَحَايَى"[١].

---

(١) سورة الأنفال: الآية:٥٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية:٥٩.

(٣) ينظر: التيسير في التفسير, عمر النسفي: ٧ /٢٣٢.

(٤) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١٠٧.

(٥) لسان العرب, ابن منظور: ١٤/٢١١.

**الحياة اصطلاحاً:** صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة, وباقي صفات المعاني والمعنوية، إن حياة الله تعالى لذاته بلا روح, بخلاف حياة غيره من الحوادث فإنها بروح، وضدها الموت(٢).

**الدليل العقلي:**

١. لو لم يتصف الله تعالى بالحياة, لما اتصف بالقدرة والإرادة والعلم؛ لأنه لا يتصور قيامها بغير حي, وهو محال عليه تعالى (٣).

٢. وجود هذا العالم بهذا الإتقان البديع, لن يتصور قيامه إلا مِن حيّ قادر(٤).

**الدليل النقلي:**

١. **قال تعالى:**﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾. (٥)

٢. **قال تعالى:** ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (٦)

- **مواضع صفة الحياة في سورتي الأنفال والتوبة:**

**أولاً: لم ترد صفة الحياة في سورة الأنفال مطلقاً.**

**ثانياً: إما في سورة التوبة فقد وردت مرة واحدة, في موضع واحد, وهو: قال تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.(٧)

- **تعليق الإمام النسفي على صفة الحياة في تفسيره:**

يبين الإمام النسفي في تفسيره أن الحياة الحقيقية للإيمان والموت, والهلاك للكفر, فيظهر الله الحق من الباطل, ويُضلّ من ضل عن تمام البيان, ويهتدي من اهتدى, **قال تعالى:**﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾,(٨) **وقال**

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي(ت:٣٩٣هـ), ت: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين _بيروت, ط٤: ١٤٠٧ هـ_١٩٨٧م:٦/٢٣٢٣.

(٢) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٤ ؛ شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١| ١١٣.

(٣) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية, محمد البوطي:١٣٠.

(٤) ينظر: أصول الدين, جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت: ٥٩٣هـ), ت: عمر وفيق الداعوق, دار البشائر الإسلامية, بيروت – لبنان, ط ١، ١٤١٩ – ١٩٩٨: ٩٣.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٥٥.

(٦) سورة غافر: الآية: ٦٥.

(٧) سورة التوبة: الآية: ١١٦.

(٨) سورة النحل: من الآية:٢١.

**تعالى:** ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾,[١] أي: كافراً فهديناه, وأبقيناه على الإيمان الذي هو الحياة العظمى والمراد حياة القلوب بالإيمان, لا الحياة الحسية المجردة, وهذا المعنى لا يخرج عن إثبات صفة الحياة على وجه الكمال, فهي صفة أزلية قائمة بذاته, ويظهر ذلك من الإحياء والإماتة والهداية والضلال, وعليه فإن إحياء القلوب بالإيمان أثر من آثار صفة الحياة الإلهية الكاملة, التي لا يسبقها عدم و لا يلحقها فناء [٢].

- **تعلّق صفة الحياة:** لا تتعلّق إلا بموجود أو معدوم, فلا تستلزم أمراً زائداً على قيام الذات [٣].

**المطلب الثاني: صفتا السمع والبصر.**

وردت صفتا السمع والبصر معاً في مواضع كثيرة من القرآن الكريم, ولذلك سنتكلم عنهما في موضع واحد, وعلى النحو الآتي:

**١. صفة السمع:**

أ. **السمع لغة:** "سمع: السمع: حس الأذن، وفي التنزيل: ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد﴾" [٤]. " السمع: السمع: حس الأذن, والأذن, وما وقر فيها من شيء تسمعه ". [٥]

ب. **السمع اصطلاحاً:**

صفة أزلية شأنها إدراك كل مسموع, وإن خفي [٦], فهي صفة تنكشف بها المسموعات من غير آلة, فلا يخفى عن سمعه شيء وإن دق, ولا يحجب سمعه بعد, ويسمع من غير أصمخة وآذان, فالله سبحانه

---

(١) سورة الأنعام: من الآية: ١٢٢.

(٢) ينظر: التيسير في التفسير, عمر النسفي: ٤٩٧,٢١٣/٧.

(٣) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري:٦١؛ المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح القضاة: ٨٣.

(٤) لسان العرب, ابن منظور: ١٦٢|٨.

(٥) القاموس المحيط, أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ), مكتب تحقيق التراث في مؤسسة مؤسسة الرسالة, محمد نعيم العرقسُوسي, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان, ط ٨, ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م: ٧٣٠.

(٦) ينظر: المسامرة بشرح المسايرة في علم الكلام, الكمال بن أبي شريف, ت: الكمال بن الهمام, د. ن, ط ١, ١٣١٧هـ: ١|.٣٥.

سميع يسمع كل شيء, حتى إنه ليسمع دبيب النملة السوداء, على الصخرة الملساء, في الليلة الظلماء[١].

**٢. صفة البصر:**

أ. **البصر لغة:** " حاسة الرؤية, وأبصرت الشيء, رأيته, والبصير, خلاف الضرير, وباصَرْتُهُ، إذا أَشْرَفْتَ تنظُر إليه من بعيد, والبَصَرُ العِلْمُ, وبَصُرْتُ بالشيء, علمته، قال الله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾[٢]، والبَصيرُ: العالِمُ".[٣]

" فِي أَسماء اللَّهِ تَعَالَى البَصِيرُ، هُوَ الَّذِي يُشَاهِدُ الأَشياء كُلَّهَا ظَاهِرَهَا وَخَافِيَهَا بِغَيْرِ جَارِحَةٍ، والبَصَرُ عِبَارَةٌ فِي حَقِّهِ عَنِ الصِّفَةِ الَّتِي يَنْكَشِفُ بِهَا كمالُ نُعُوتِ المُبْصَراتِ... البَصَرُ حَاسَّةُ الرؤْية... البَصَرُ حِسُّ العَين وَالْجَمْعُ أَبْصارٌ, بَصُرَ بِهِ بَصَراً وبَصارَةً وبِصارَةً وأَبْصَرَهُ وتَبَصَّرَهُ: نَظَرَ " [٤].

ب. **البصر اصطلاحاً:** صفة أزلية شأنها إدراك كل مبصر, وإن لطف [٥], وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها المرئيات من غير آلة, فتدركها إدراكاً تاماً، وضدها: العمى [٦].

**الدليل العقلي:**

١. أن صفة السمع والبصر صفتا كمال, وقد اتصف بهما المخلوق, فالله تعالى أحق أن يتصف بهما, وإلا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق, فيما يصح اتصافه تعالى به [٧].

٢. لو لم يتصف تعالى بهما, للزم أن يتصف بضدهما, إذا ثبت اتصافه بضدهما, كان ذلك نقصاً, والنقص عليه محال, فثبت اتصافه بالسمع والبصر [١].

---

(١) ينظر: العقائد الإسلامية, سيد سابق (ت:١٤٢٠هـ), دار الكتاب العربي_ بيروت, د. ط, د. ت:٧٠ .

(٢) سورة طه: من الآية :٩٦.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, إسماعيل الفارابي:٢/٥٩١.

(٤) لسان العرب, ابن منظور: ٤| ٦٤.

(٥) ينظر: المسامرة بشرح المسايرة في علم الكلام, الكمال بن أبي شريف: ١|٣٥.

(٦) ينظر: المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح علي سلمان القضاة: ٧٢؛ تهذيب شرح السنونية "أم البراهين", سعيد عبد اللطيف فوده, د. ت, دار الرازي, ط ٢, ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م : ٥٣.

(٧) ينظر: المسامرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة, الكمال بن الهمام الحنفي(ت:٦٨١هـ), ت: عبد عبد الحميد محي الدين محمد, المطبعة المحمودية التجارية _ مصر, د. ط, د. ت: ٣٠؛ المسامرة في شرح المسايرة في علم الكلام, الكمال بن أبي شريف(ت: ٩٠٥هـ), ت: قاسم بن قطلوبلغا الحنفي, المكتبة الأزهرية للتراث, ط ٢, د. ت: ٧١.

٣. لو ثبت اتصافه بالصمم والعمى, لكان ذلك نقصاً, ولو كان نقصاً, لاحتاج إلى من يكمله, ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا, يلزم الدور و التسلسل, وكلاهما باطل, وهما صفتا مدح فنفيهما نقص في حقه تعالى, وهو محال عليه [٢].

**الدليل النقلي:**

١. **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [٣].

٢. **قال تعالى:**﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٤].

٣. **قال تعالى:**﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [٥].

- **المواضع التي وردت فيها صفة السمع في سورتي الأنفال والتوبة.**

**أولاً: وردت لفظة السمع في سورة الأنفال أربع مرات, في أربعة مواضع, وهي:**

١. **قال تعالى:**﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٦].

٢. **قال تعالى:** ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٧].

٣. **قال تعالى:** ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٨].

٤. **قال تعالى:** ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٩].

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على أم البراهين, محمد السنوسي, دار احياء الكتب العربية, د. ط, د. ت: ١٧٠.

(٢) ينظر: أصول الدين, جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي: ٩٩؛ التمهيد في أصول الدين, أبو المعين النسفي الماتريدي(ت: ٥٠٨هـ), ت: محمد عبد الرحمن الشاغول, الأزهرية للتراث, د. ط, د. ت: ٣٠؛ لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة, عبد الملك الجويني, ت: فوقية حسين محمود, عالم الكتب, ط١, ١٣٨٥هـ_١٩٦٥م:٩٧.

(٣) سورة الحج: من الآية: ٧٥ .

(٤) سورة الشورى: الآية: ١١.

(٥) سورة طه: الآية:٤٦ .

(٦) سورة الأنفال: من الآية: ١٧ .

(٧) سورة الأنفال: من الآية: ٤٢ .

(٨) سورة الأنفال: من الآية: ٥٣ .

(٩) سورة الأنفال: من الآية: ٦١ .

**ثانياً: أما في سورة التوبة فقد وردت في موضعين, هما:**

١. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

٢. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

**أولاً: وردت لفظة البصر في سورة الأنفال مرتين, في موضعين, هما:**

١. **قال تعالى:**﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣).

٢. **قال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤).

**ثانياً: أما في سورة التوبة فلم يرد نص قرآني على لفظة البصر.**

- **تعليق الإمام النسفي على صفتي السمع والبصر في تفسيره:**

من الجدير بالذكر أن الإمام النسفي يثبت في شرح هذه الآيات الكريمات, صفة السمع والبصر لله تعالى على وجه القدم, بوصفهما صفة ذاتية أزلية وجودية, قائمة بذاته تعالى, فهي ليست حادثة أو مخلوقة تتعلق بزمان ومكان, أو تتوقف على وجود مسموع ومبصَر, بل هي صفة قديمة يدرك ويبصر بها الله سبحانه جميع المسموعات والمرئيات إدراكاً يليق بكماله وجلاله وجماله, منزهاً عن صفات الحوادث, ويؤكد الإمام النسفي أن الله سميع لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه, يسمع دعاءك أيها النبي محمّد ﴿ﷺ﴾ وما يجري بينك وبين أعدائك, بصير بما يفعلون إذا انتهوا عن الشرك والفتنة ورجعوا معك إلى دينك دين الحق من ترك الكفر والمعصية, وفعل الإيمان والطاعة, يرى أعمالهم فيجازيهم عليها, فيثبت صفة السمع والبصر لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه, ملتزماً مبدأ التنزيه الذي عرف به الماتريديّة في باب الصفات (٥).

---

(١) سورة التوبة: من الآية: ٩٨ .

(٢) سورة التوبة: من الآية: ١٠٣ .

(٣) سورة الأنفال: من الآية: ٣٩ .

(٤) سورة الأنفال: من الآية: ٧٢ .

(٥)ينظر: التيسير في التفسير, عمر النسفي: ٧/ ١٦٧,٢٠٦,٢٠٧,٢٢٧,٢٣٧,٤٤٨,٤٦٣ .

- **تعلّق صفتي السمع والبصر:**

صفتان أزليتان متعلّقتان بجميع المرئيات والمسموعات, فتدرك إدراكاً تاماً لا على سبيل التخيل أو التوهم من غير تأثير حاسة ووصول هواء, فسمعه وبصره تعالى ينكشف بهما كل شيء, سواء أكان قديماً أم حادثاً, صفة أو ذاتاً, صوتاً أو غيره, فلا يلزم من قدمهما قدم المسموعات والمبصرات [١].

فالسمع والبصر ينكشف بهما جميع المبصرات والمسموعات انكشافاً تاماً, يغاير الانكشاف بالعلم, كما أن الانكشاف بإحداهما يغاير الانكشاف بالأخرى, فلا يخفى عليه شيء سبحانه, يسمع ويبصر دبيب النملة السوداء, في الليلة الظلماء, على الصخرة الصماء [٢].

## المبحث الثالث: صفة الإرادة, الكلام, التكوين.

### المطلب الأول: صفة الإرادة.

**١. صفة الإرادة :**

أ. **الإرادة لغة:** " أَراد يُرِيدُ إِرادة، وَالرَّيْدَةُ الِاسْمُ مِنَ الإِرادة... والإِرادة الْمَشِيئَةُ " [٣]. "الارادة في اللغة: القصد, وترادفها المشيئة" [٤].

ب. **الإرادة اصطلاحاً:** صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه, من وجود أو عدم, ومقدار, وزمان, ومكان وجهه, وضدها: الإكراه [٥].

**الدليل العقلي:**

---

(١) ينظر: شرح العقائد النسفية, سعد الدين التفتازاني: ٤٠_٤١؛ شرح جوهرة التوحيد, ابراهيم الباجوري: ١٣٤.

(٢) ينظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد, علي جمعة محمد الشافعي, دار السلام, د. ط, د. ت:١٣١_١٣٢؛ شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٩.

(٣) لسان العرب, ابن منظور: ٣/ ١٩١.

(٤) المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح القضاة : ٦٢.

(٥) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٤.

١. الله صانع للعالم بالاختيار, وكل من كان كذلك تجب له الإرادة, فالله تجب له الإرادة[١].

٢. لو لم يكن الله سبحانه مريداً, لكان مكرهاً.

٣. ولو كان مكرهاً, لكان عاجزاً, ولما أمكنه أن يخلق شيئاً من هذا العالم البديع في الإتقان والنظام.

٤. لو لم يتصف بالإرادة, لا تصف بضدها, الذي هو, العجز وهو نقص, والنقص محال في حقه تعالى [٢].

**الدليل النقلي:**

١. **قال تعالى:**﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [٣].

٢. **قال تعالى:**﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٤].

٣. **قال تعالى:**﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٥].

٤. **أولاً: لقد وردت صفة الإرادة في سورة الأنفال مرتين في موضعين, هما:**

١. **قال تعالى:**﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٦].

٢. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾[٧].

**ثانياً: وردت صفة الإرادة في سورة التوبة كذلك مرة واحدة, في موضع واحد, هو:**

**قال تعالى:**﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [٨].

**أولاً: لقد وردت صفة الإرادة في سورة الأنفال مرتان في موضعان هما:**

١. **قال تعالى:**﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١].

---

(١) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١٠٩.

(٢) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٥.

(٣) سورة البروج: من الآية: ١٦.

(٤) سورة يس: الآية: ٨٢.

(٥) سورة البقرة: من الآية: ١٨٥.

(٦) سورة الأنفال: من الآية: ٧.

(٧) سورة الأنفال: من الآية: ٦٧.

(٨) سورة التوبة: الآية: ٨٥.

٢. **قال تعالى:**﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [٢].

**ثانياً: وردت صفة الإرادة في سورة التوبة كذلك مرة واحدة في موضع واحد هو:**

١. **قال تعالى:**﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[٣].

- **تعليق الإمام النسفي على صفة الإرادة في تفسيره:**

يوضح الإمام النسفي أن صفة الإرادة لله تعالى أزليه وليست حادثة, بل هي من صفات الذات القديمة, التي لا يزال الله متصفاً بها, وقد بينت الآيات الكريمات أن الله تعالى يريد أن يظهر دين الحق بمواعيد في نصرته ونصرة أهله, ويختار لهم الثواب وجزاء الآخرة, دون عرض الدنيا الزائل, فالله تعالى أراد لأهل بدر النصر في الآخرة ونعيمها والتمكين لدينه, في حين هم أرادوا الغنائم والعرض الدنيوي, فكان ما أراده الله تعالى هو الأصلح لهم, لا ما أردوه لأنفسهم, فالإمام النسفي يثبتها دون تشبيه أو تعطيل, إذ إنها من الصفات الذاتية الفعلية التي تجمع بين الإثبات والتنزيه [٤].

- **تعلّق الإرادة:**

الإرادة كالقدرة في التعلق, فهي لا تتعلق إلا بالممكن, دون الواجب أو المستحيل [٥].

**المطلب الثاني: صفة الكلام, وانواعه.**

١. **صفة الكلام :**

أ. **الكلام لغةً:** "الكلامُ: هو اللفظُ المُرَكَّبُ المُفيدُ بالوَضْع".[١] أو كلم: "الكاف واللام والميم... تقول: كلّمته أُكلّمه تكليماً, وهو كَلِيمِي إذا كلّمك أو كلَّمتَه, ثمَّ يتَّسِعون فيسمُّون اللّفظةَ الواحدة المُفهِمَةَ

(١) سورة الأنفال: من الآية: ٧.

(٢) سورة الانفال: من الآية: ٦٧.

(٣) سورة التوبة: الآية: ٨٥.

(٤) ينظر: التيسير في التفسير, عمر النسفي: ٧/ ١٥٢, ٢٤٧.

(٥) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١٠٩.

كلمة، والقِصَّةَ كلمة، والقَصيدةَ بطولها كلمة, ويجمعون الكلمةَ كلماتٍ وكَلِماً, [٢]. **قال الله تعالى:** ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾"[٣].

**ب. الكلام اصطلاحاً:** صفة أزلية تدل على جميع المعلومات, ليست بحروف ولا أصوات, وضدها: البكم [٤].

**الدليل العقلي:**

١. الكلام صفة كمال, والله يتصف بكل كمال, ولو لم يتصف بها لا تصف بضدها, وهو البكم, وهي صفة نقص, وهو منزَّه عن النقائص, ومحال في حقه تعالى [٥].
٢. النقص لا يرضى به المخلوق, فكيف بالخالق, فثبت اتصافه بصفة الكلام [٦].

**الدليل النقلي:**

١. **قال تعالى:** ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [٧].
٢. **قال تعالى:** ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٨].

**أولاً: لقد وردت صفة الكلام في سورة الأنفال مرة واحدة, في موضع واحد, هو:**

**قال تعالى:** ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[٩].

---

(١) متن الآجرومية، ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت: ٧٢٣هـ)، دار الصميعي، د. ط, ١٤١٩هـ-١٩٩٨م:٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة, ابن فارس: ١٣١/٥.

(٣) سورة النساء: من الآية: ٤٦.

(٤) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٧٨.

(٥) ينظر: أصول الدين, جمال الدين الغزنوي: ١٠٠_١٠١.

(٦) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١٢٢.

(٧) سورة النساء: من الآية: ١٦٤.

(٨) سورة الشورى: الآية: ٥١.

(٩) سورة الأنفال: من الآية: ٧.

**ثانياً: لقد وردت لفظة الكلام في سورة التوبة في موضعين, هما:**

١. **قال تعالى:** ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

٢. **قال تعالى:** ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

- **تعليق الإمام النسفي على صفة الكلام في تفسيره:**

بيَّن أن صفة الكلام أزلية قديمة قائمة بذاته, وأن "كلمة الله" هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله, وهي الكلمة العظمى التي تقوم بها الحجة, وتتحقق بها النجاة, وتبقى عالية إلى قيام الساعة, ويربط النسفي بين ظهور الدين الحق الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد, بميعاده ونصرته ونصرة المسلمين, مبيناً أن الآيات تتضمن سناً إلهية في إقامة الحجة والبرهان على المشركين, كما يؤكد في تفسيره أن الإيمان لا يتصور إلا بعد السماع والفهم وقيام الحجة, فإنْ أحد من المشركين الذين لا عهد لهم يسألك أن تؤمّنه وتكون جاراً له من ثوبِ المؤمنين عليه حتى يسمع كلام الله ويتأمله, فأجبه إلى ذلك وأجره, وإن جاء وسمع وتدبر فلا تقتله, حتى وإن لم يؤمن لأنكَ أمّنته, ولكن أوصله إلى إذ يأمن على نفسه, وهو **قوله تعالى:**﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾,(٣) فإذا التمس سماع كلام الله فأجبه فقد يكون مسترشداً طالباً الهداية, وفي سمعه وتأمله قد تزال عنه الشبهة فيسلم, فإن لم يفعل ورجع إلى موضعه فلكم بعد ذلك أن تقتلوهم إذ وجدتموهم؛ لأنكم قد أعذرتم إليهم, فاستحقوا المؤاخذة لقيام الحجة عليهم (٤).

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة: من الآية:٤٠.

(٣) سورة التوبة: من الآية:٦.

(٤) ينظر: التيسير في التفسير, عمر النسفي: ٣٤٥,٢٧٤,١٥٢.

- **تعلّق صفة الكلام:** تتعلّق صفة الكلام بالواجب والمستحيل والجائز, وتعلّقها تعلق دلالة وبيان, أو أمر ونهي, تشهد بذلك الآيات الكريمات في القرآن الكريم [١].

**٢. أنواع الكلام: اختلف المتكلمون في كلام الله تعالى على أقوال:**

**القول الأول: أهل السنة ( منهم الأشاعرة والماتريدية): [٢]**

**الكلام نوعان, هما:**

١. **الكلام النفسي:** وهو الكلام حقيقة, المعبَّر عنه بالألفاظ, ليس بحرف ولا صوت, بل هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى, منزهة عن الإعراب والبناء, والتقديم والتأخير, منافية عن السكوت والآفة, كما في الخرس والطفولية, وهو متكلم بها, آمرٌ, ناهٍ, مخبرٌ [٣].

٢. **الكلام اللفظي:** وهو الحروف والأصوات, وهو حادث غير قائم بذات الله تعالى, وهو القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة, فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق, وأما بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق, لكن لا يجوز أن يقال: القرآن الكريم مخلوق إلا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوهم أن القرآن الكريم بمعنى كلامه تعالى مخلوق [٤].

---

(١) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٨٤ ؛ شرح أم البراهين, محمد السنوسي: ٦٥؛ شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري:١٣٤ .

(٢)الماتريدية: مدرسة كلامية, نشأت في أقصى المشرق في نهاية القرن الثالث, تنسب إلى الإمام محمد بن محمد بن محمود بن محمد أبو منصور الماتريدي السمرقندي الحنفي ( رحمه الله تعالى), أثبتت العقيدة الاسلامية ودافعت عنها باستخدام البراهين والأدلة العقلية والنقلية. ينظر: مقالات الاسلامين واختلاف المصلين, أبو الحسن علي بن إسماعيل الاشعري(ت:٣٠٣هـ), ت: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, صيدا_ بيروت, د. ط,١٤١١هـ_١٩٩٠م: ٨؛ الجواهر المضية في طبقات الحنفية, أبو الوفاء محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن القرشي الحنفي المصري (ت: ٧٧٥ هـ), مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية, حيدر آباد الدكن – الهند, ط ١، ١٣٣٢ هـ:٣٤٤/٢.

(٣) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري:١٣٣؛ تبصرة الأدلة في أصول الدين, أبو المعين النسفي, ت: حسين أتاي: د. ط, د. ت: ٣٣٩.

(٤) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري: ١١٥.

**القول الثاني: المعتزلة والشيعة الإمامية[١]:**

كلامه تعالى حروف وأصوات, ولكنها ليست قائمة بذاته, بل يخلقها الله تعالى في غيره, كاللوح المحفوظ, أو الملك جبريل, أو النبي, وهو حادث ليس بقديم.[٢]

**أساس الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الكلام:**

وبناء على ذلك, ينحصر الخلاف القائم في كلام الله تعالى بين المعتزلة وأهل السنة في تسمية الكلام النفسي:

١. **قالت المعتزلة:** إن الكلام لا يسمى كلاماً, وإنما يرجع إلى صفة الإرادة, إن كان المدلول أمراً أو نهياً, ويرجع إلى صفة العلم إن كان خبراً [٣] .
٢. **قال أهل السنة والجماعة[٤]:** لا ننكر الكلام الذي تقول به المعتزلة, بل نقول به, ونسميه الكلام النفسي, وهو صفة زائدة على الإرادة والعلم, قائمة بذاته تعالى، إذن الخلاف بينهما لفظياً وليس حقيقياً [١].

(١) الشيعة الإمامية: فرقة كلامية, القائلون بإمامه علي (ﷺ) بعد النبي محمّد (ﷺ) بالنص والتعيين, والاثنا عشرية الفرقة التي تقول باثنى عشر إمامًا، وهم: علي المرتضى، والحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلي زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومُحَمَّد النقي، وعلي التقي، والحسن العسكري الزكي، ومحمد المهدي الذي اختبأ واختفى سنة ٢٦٠ هـ وما يزال مستورًا حتى يظهر في آخر الزمان؛ ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورًا. ينظر: الملل والنحل, أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي أحمد الشهرستاني(ت:٤٧٩هـ), ت: عبد الامير علي مهنا و علي حسن فاعور, دار المعرفة, بيروت_ لبنان, د. ط, د.ت: ١٨٩؛ تأويلات أهل السنة, أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ), ت: مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان, ط ١, ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م: ١/١١٦.

(٢) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية, محمد البوطي:١٢٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٥_١٢٦.

(٤) أهل السنة والجماعة: وهم الفرقة الناجية, الثالثة والسبعون, من الأثرية والأشاعرة والماتريديّة, أقرت بتوحيد الصانع وقدم صفاته واسمائه, وأجازت رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل, وفي سائر أصول الدين, ويُعد أبو الحسن الاشعري شيخ أهل السنة والجماعة. ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين, أبو الحسن الأشعري: ١/٣٤٥_٣٥٢.؛

**المطلب الثالث: صفة التكوين.**

**لقد أثبت الماتريدية صفة ثامنة وهي :**

- **صفة التكوين:**

أ. **التكوين لغة:**" الكاف والواو والنون أصلٌ يدلُّ على الإخبار عن حدوثِ شيء، إمَّا في زمانٍ ماضٍ أو زمان راهن, يقولون: كان الشيءُ يكونُ كَونا، إذا وَقَعَ وحضر" [٢]. " الكَوْنُ: الحَدَثُ، وَقَدْ كَانَ كَوْناً وكَيْنُونة..... والكَيْنونة فِي مَصْدَرِ كانَ يكونُ أَحسنُ" [٣].

ب. **التكوين اصطلاحاً:** صفة أزلية قائمة بذاته تعالى, تدل على التخليق, و الخلق, والاحداث, والإيجاد, والإبداع, يراد بها أسماء مترادفة تدل على معنى واحد, وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الموجود, [٤]وهي تكوين العالم وكل جزء من أجزائه بوقت وجوده وهو غير المكون عندنا, يوجد بها ويعدم, فإذا تعلقت بالوجود تسمى إيجاداً, وإن تعلقت بالعدم تسمى إعداماً, وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياء وهكذا ولقد دل العقل والنقل على أنه خالق للعالم موجد ومكون له[٥].

**الدليل العقلي:**

١. التكوين صفة أزلية حقيقة, زائدة على القدرة والإرادة, وهي غير المكون الحادث.
٢. أن قدم التكوين لا يستلزم قدم المكون؛ لأن التكوين غير المكون, ولو كان التكوين هو عين المكون للزم قدم العالم, وهو باطل, ومحال في حقه تعالى [٦].

---

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الاسلامية واراء كبار أعلامها, عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي, ت: محمد محي الدين عبد الحميد, دار المعرفة, بيروت _بيروت, د. ط, د. ت: ٢٦.

(١) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية, محمد البوطي: ١٢٥_١٢٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة, ابن فارس: ٥/ ١٤٨.

(٣) لسان العرب , ابن منظور: ١٣/ ٣٦٣.

(٤) ينظر: التمهيد في أصول الدين, أبو المعين النسفي الماتريدي(ت:٥٠٨هـ), ت: محمد عبد الرحمن الشاغول, المكتبة الأزهرية للتراث, د. ط, د. ت:٥٠.

(٥) ينظر: العقائد النسفية, عمر النسفي: ٢؛ شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٩٩؛ المطالب الوفية, عبد الله الهرري: ١٢٤.

(٦) ينظر: تأويلات أهل السنة, أبو منصور الماتريدي: ١/ ١٧٣.

**الدليل النقلي:**

**قال تعالى:**﴿ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[١]

يرى الماتريديّة أن صفات الأفعال _كالإيجاد, والخلق, والرزق, والإحياء, والإماتة, والإشفاء, والإسعاد, والتصوير, ونحوها, لا تعد صفات متعددة في ذاتها, بل ترجع في مجموعها إلى صفة واحدة تسمّى التكوين, [٢] وهي الصفة المشار إليها في **قوله تعالى:**﴿كُنْ فَيَكُونُ ﴾,[٣]وهي صفة أزلية, فلو لم يكن سبحانه أزلاً خالقاً, لما وصف ذاته بالخالق, وعلى هذا تكون الصيغة النهائية لصفة التكوين, أن الله تعالى مكون العالم, ولكل جزء من أجزائه لوقتِ وجودهِ, فالله تعالى كان خالقاً لقيام صفة الخلق وهي التكوين بذاته في الأزل كما كان عالماً, قادراً ... , وعلى هذا لما كان سبحانه هو الخالق لهذا العالم والمكون له, لزم وصفه بصفة التكوين, [٤] وأن صفات الأفعال قديمة أزلية؛ لأنها متعلّقة بصدور العالم وأجزائه جميعاً, غير أن تعلقها بالموجودات يختلف باختلاف متعلّقها, فإن تعلقت بوجود الشيء سمّيت إيجاداً أو خلقاً, وإن تعلّقت بالعدم سمّيت إعداماً, وإن تعلّقت بالحياة سمّيت إحياء, وإن تعلّقت بإعطائه صورته سمّيت تصويراً, وهي في حقيقتها صفة زائدة على القدرة والإرادة, وبذلك أثبتوها لله تعالى[٥].

- **مواضع صفة التكوين في السورتين.**

**لم ترد أي آية كريمة تدل على صفة التكوين في سورتي الأنفال والتوبة.**

- **تعليق الإمام النسفي على صفة التكوين في تفسيره:**

---

(١) سورة يس: من الآية: ٨٢.

(٢) ينظر: شرح الخريدة البهية, أحمد الدردير: ٩٩.

(٣) سورة يس: من الآية: ٨٢.

(٤) ينظر: تبصرة الادلة, أبو المعين النسفي: ٧٠/١؛ المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية, عبد الله الهرري الحبشي(ت: الحبشي(ت: ١٤٢٩هـ), دار المشاريع, بيروت _لبنان, ط٣, ١٤٣٥هـ_٢٠١٤م: ١٢٤_١٢٦؛ التوحيد, ابو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي,(ت: ٣٣٣هـ), ت: بكر طوبال اوغلي وآخرون, دار صادر_ بيروت, مكتبة الارشاد_ استانبول, د. ط, د. ت: ١١٠.

(٥) ينظر: شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري:١٢٠؛ المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية, عبد الله الهرري:١٠٧_١٠٩.

لم يتطرق الإمام النسفي لصفة التكوين, ولم تذكر في السورتين, لكنه يتفق مع الماتريديّة من خلال تبنيه الفكرة والاتجاه والأقوال, في أصل إثبات التكوين, عند تفسيرهم **لقوله تعالى:** (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ),[١] أن في هذه الآية دلالة على إثبات وصف الله تعالى بملكِ ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه, وبالتالي يمكن القول إنه سبحانه خالق لم يزل, وواجد لم يزل, فهو الخالق قبل وجود المخلوقات, المحدث قبل وجود الحوادث[٢].

(١) سورة الفاتحة: الآية ٤.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة, أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن محمود الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ), ت: مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية, بيروت_ لبنان, ط٢, د. ت: ١/ ٣٦٢.

## خاتمة البحث

خلصُ هذا البحث إلى دراسة صفات المعاني والصفات المعنوية عند أهل السنة والجماعة من خلال التطبيق التفسيري على سورتي الأنفال والتوبة في تفسير الإمام أبي حفص النسفي، بوصفه أحد أبرز أعلام المدرسة الماتريديّة في تقرير المسائل العقدية، وقد بيّن البحث حقيقة هذه الصفات ومراتبها، وأقام الأدلة العقلية والنقلية على ثبوتها، مبينًا منهج الإمام النسفي القائم على الجمع بين النص الشرعي والدليل العقلي، مع الالتزام بمبدأ التنزيه ونفي مشابهة صفات الخالق لصفات المخلوقين.

وقد توصّل البحث إلى تأصيل مفهوم صفات المعاني، وبيان أنها صفات وجودية أزلية قائمة بذات الله تعالى، كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والتكوين، وأنها ليست عين الذات ولا غيرها، بل زائدة على مفهوم الذات، وتستلزم صفات معنوية تدل على كماله سبحانه، ككونه عليمًا وقديرًا وسميعًا وبصيرًا. كما أبرز البحث مركزية صفة العلم بوصفها أصلًا لسائر الصفات، من خلال بيان معناها اللغوي والاصطلاحي، وتعلّقها بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة والانكشاف، مع الاستدلال عليها بالأدلة العقلية والنقلية، وبيان مواضع ورودها في سورتي الأنفال والتوبة.

وتناول البحث كذلك بقية صفات المعاني، من العلم القدرة والحياة والسمع والبصر والإرادة والكلام والتكوين، مع تحليل مواضع ذكرها في السورتين، وبيان دلالاتها العقدية في ضوء تفسير الإمام النسفي، وإبراز ردوده على المخالفين من المعتزلة والفلاسفة، ولا سيما في المسائل المتعلقة بصفات العلم والكلام. وقد انتهى البحث إلى التأكيد على أن صفات الله تعالى صفات كمال واجبة له أزلًا وأبدًا، قائمة بذاته سبحانه، منزهة عن النقص والتغير، وأن منهج الإمام النسفي في تقرير هذه الصفات يقوم على الإثبات بلا تشبيه والتنزيه بلا تعطيل، بما ينسجم انسجامًا تامًا مع أصول أهل السنة والجماعة، ويؤكد أهمية التفسير العقدي في فهم النص القرآني وترسيخ العقيدة الصحيحة.

**المصادر والمراجع:**

❖ **القرآن الكريم.**

١. أصول الدين, جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت: ٥٩٣هـ), ت: عمر وفيق الداعوق, دار البشائر الإسلامية, بيروت – لبنان, ط ١: ١٤١٩ – ١٩٩٨م.

٢. تأويلات أهل السنة, أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن محمود الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ), ت: مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية, بيروت_ لبنان, ط٢, د. ت.

٣. تأويلات أهل السنة, أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ), ت: مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية, بيروت_ لبنان, ط ١: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤. تبسيط العقائد الإسلامية, حسن محمد أيوب (ت: ١٤٢٩هـ), دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان, ط ٥: ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٥. تبصرة الأدلة في أصول الدين, أبو المعين ميمون النسفي الماتريدي (ت: ٥٠٨هـ), ت: محمد الانوار حامد عيسى, المكتبة الأزهرية للتراث _الجزيرة للنشر والتوزيع, ط ١: ٢٠١١م.

٦. تحفة المريد على جوهرة التوحيد, علي جمعة محمد الشافعي, دار السلام, د. ط, د. ت.

٧. التعليقات على متن لمعة الاعتقاد, عبد الله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (ت: ١٤٣٠هـ), دار الصميعي للنشر والتوزيع, ط ١: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٨. التمهيد في أصول الدين, أبو المعين النسفي الماتريدي(ت: ٥٠٨هـ), ت: محمد عبد الرحمن الشاغول, الأزهرية للتراث: د. ط, د. ت.

٩. تهذيب شرح السنونية "أم البراهين", سعيد عبد اللطيف فوده, دار الرازي, ط ٢: ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م.

١٠. التوحيد, أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي,( ت: ٣٣٣هـ), ت: بكر طوبال اوغلي وآخرون, دار صادر_ بيروت, مكتبة الارشاد_ استانبول, د. ط, د. ت.

١١. التيسير في التفسير, أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي(ت:٥٣٧هـ), ت: ماهر أديب حبوش وآخرون, دار اللباب, اسطنبول _تركيا, د. ١: ١٤٤٠هـ_٢٠١٩م.

١٢. الجواهر المضية في طبقات الحنفية, أبو الوفاء محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن القرشي الحنفي المصري (ت: ٧٧٥ هـ), مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية, حيدر آباد الدكن – الهند, ط

١٣. حاشية الدسوقي على ام البراهين, محمد السنوسي, دار احياء الكتب العربية: د. ط, د. ت.

١٤. شرح الخريدة البهية في علم التوحيد, أحمد بن محمد الدردير, ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنّار,

١٥. شرح العقائد النسفية, أبو حفص نجم الدين عمر النسفي, د. ن, د. ط , د. ت.

١٦. شرح العقائد النسفية, سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني, ت: أحمد حجازي السقا, مكتبة الكليات العصرية, الأزهر_ القاهرة, ط ١: ١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م.

١٧. شرح العقيدة الطحاوية, علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت: ٧٩٢ هـ), ت: عبد الله بن المحسن التركي وآخرون, مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان, ط ٢:١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

١٨. شرح المقاصد, مسعود بن عمر بن عبد الله, سعد الدين التفتازاني (ت:٧١٢هـ), ت: عبد الرحمن عميرة, عالم الكتب, د. ط, د. ت.

١٩. شرح أم البراهين, أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني, ت: خالد زهري, دار الكتب

٢٠. شرح جوهرة التوحيد, إبراهيم الباجوري, محمد أديب الكيلاني, عبد الكريم تتان, ت: عبد الكريم

٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي(ت:٣٩٣هـ), ت: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين _بيروت, ط٤: ١٤٠٧ هـ_١٩٨٧م.

٢٢. العقائد الإسلامية, سيد سابق (ت:١٤٢٠هـ), دار الكتاب العربي_ بيروت, د. ط, د. ت.

٢٣. العقيدة الإسلامية ومذاهبها, قحطان عبد الرحمن الدوري, لبنان _ناشرون, ط٢:

٢٤. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الاسلامية واراء كبار أعلامها, عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي, ت: محمد محي الدين عبد الحميد, دار المعرفة, بيروت _بيروت, د. ط, د.

٢٥. الفرق بين الفرق, عبد القاهر بن طاهرين محمد البغدادي( ت: ٤٢٩هـ), ت: محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية_ بيروت, د. ط: ١٩٩٠ م.

٢٦. القاموس المحيط, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ), مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, محمد نعيم العرقسُوسي, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان, ط ٨: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٢٧. كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق, محمد سعيد رمضان البوطي, دار الفكر,

٢٨. لسان العرب, أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ), دار صادر – بيروت, ط ٣: ١٤١٤ هـ.
٢٩. لمع الادلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة, عبد الملك الجويني, ت: فوقية حسين محمود,
٣٠. متن الآجرومية، ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي(ت: ٧٢٣هـ)، دار
٣١. المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد, نوح علي سلمان القضاة, دار الرازي, عمان _الاردن,
٣٢. المسامرة بشرح المسايرة في علم الكلام, الكمال بن أبي شريف, ت: الكمال بن الهمام, د. ن,
٣٣. المسامرة في شرح المسايرة في علم الكلام, الكمال بن أبي شريف(ت: ٩٠٥هـ), ت: قاسم بن قطلوبلغا الحنفي, المكتبة الأزهرية للتراث, ط ٢, د. ت.
٣٤. المسامرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة, الكمال بن الهمام الحنفي(ت:٦٨١هـ), ت: عبد الحميد محي الدين محمد, المطبعة المحمودية التجارية _ مصر, د. ط , د.
٣٥. المسايرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة, الكمال بن الهمام الحنفي(ت: ٦٨١هـ), ت: محمد محي الدين عبد الحميد, ط١, د. ت.
٣٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي(ت:٧٧٠هـ),
٣٧. المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية, عبد الله الهرري الحبشي(ت: ١٤٢٩هـ), شركة دار المشاريع, بيروت _لبنان, ط٣: ١٤٣٥هـ_٢٠١٤م.
٣٨. معجم مقاييس اللغة, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني(ت:٣٩٥هـ), ت: عبد السلام هارون, دار الجيل ودار الفكر _بيروت, د. ط: ١٣٩٢م_١٩٧٢م.
٣٩. مقالات الاسلامين واختلاف المصلين, أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري(ت:٣٠٣هـ), ت: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, صيدا_ بيروت, د. ط:١٤١١هـ_١٩٩٠م.
٤٠. , الملل والنحل, أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني(ت: ٤٧٩هـ),ت: عبد الامير علي مهنا و علي حسن فاعور دار المعرفة, بيروت _لبنان, د. ط , د. ت.